فلو لم يتصف الباري بها لزم ان يكون انسان بل غيره من الحيوانات اكمل منه تعالى وهو
باطل قطعا ولا يرد عليه النقض بمثل المشي والحسن الوجه لان استحالته في حق
الباري مما يعلم قطعا بخلاف السمع والبصر والغرض من تكثير وجوه الاستدلال
في امثال هذه المقامات زيادة التوثيق والتحقيق فان الاذهان متفاوتة في القبول
والاذعان ربما يحصل للبعض الاطمينان ببعض الوجوه دون البعض او باجتماع
الكل او عدة منها مع ما في كل واحد من مجال المناقشة كما يعلم مما قدمناه عند قوله
بذي انا نا السمع واما الاعتراض حينئذ بانه لا سبيل الى استحالة النقص والآفة
على الباري تعالى سوى الاجماع المستند حجيته الى الادلة السمعية ولا خفاء في ثبوت
الاجماع وقيام الادلة السمعية القطعية على كونه تعالى حيا سميعا بصيرا فلا حاجة
الى سائر المقدمات التي ربما يناقش فيها فجوابه المنع اذ ربما يجزم بذلك من لا يلاحظ
الاجماع عليه او لا يراه حجة اصلا او يعتقد انه لا يصح في مثل هذا المطلوب التمسك
به وبسائر الادلة السمعية لكون انزال الكتب وارسال الرسل فرع كون الباري حيا
سميعا بصيرا وبالجملة لما ثبت كونه حيا سميعا بصيرا ثبت على قاعدة اصحابنا
له تعالى صفات قديمة هي الحياة والسمع والبصر على قياس العلم والقدرة فان قيل
لو كان السمع والبصر قديمين لزم كون المسموع والمبصر كذلك لامتناع السمع بدون
المسموع والابصار بدون المبصر قلنا ممنوع لجواز ان يكون كل منهما صفة قديمة
لها تعلقات حادثة كالعلم والقدرة ويمكن ان تجعل هذه شبهة من قبل المخالف
بانه لو كان سميعا بصيرا فاما ان يكون السمع والبصر قديمين فيلزم قدم المسموع
والمبصر او حادثين فيلزم كونه محلا للحوادث وشبهة اخرى وهي انه لو كان حيا سميعا
بصيرا لكان جسما واللازم باطل وجه اللزوم ان الحياة اعتدال نوعي للمزاج الحيواني
على ما سبق او صفة تتبعه مقتضية للحس والحركة الارادية وقد عرفت ان المزاج
من الكيفيات الجسمية وان السمع والبصر وسائر الاحساسات تأثر الحواس من
المحسوسات او حالة ادراكية تتبعه وليس الحواس الا قوى جسمانية والجواب
انا لا نسلم كون الحياة والسمع والبصر عبارة عما ذكرتم او مشروطة به في الشاهد
فضلا عن الغائب غاية الامر انها في ذلك هي تقارن ما ذكرتم ولا حجة في مجرد
المقارنة على الاشتراطات قلت المقام مقام اثبات انه حي فما بالك ضممت
اليه اثبات انه سميع وبصير مع انهما اثبات بعده قلت اشارة الى ان بعض
المحققين جمع بينهما في مبحث الاثبات لاتحاد ادلة اثباتهما وعليه فكان المناسب
جمعها في موضع واحد وانما فرقها لضرورة النظم ثم اشار الى اثبات اتصافه
تعالى بالعلم فقال علم نفعل بمعنى فاعل يعني ومما يجب له اتصاف ذاته بالعلم كما اتفق عليه
جمهور العقلاء والمشهور من استدلال المتكلمين وجهان احدهما انه فاعل لافعاله محكمة
سالم

متقنا

متقنا وكل من كان كذلك فهو عالم اما الصغرى فبالضرورة ونبه عليه ان من راى
خطوطا مليحة او سمع الفاظا فصيحة تنبئ عن معان دقيقة واغراض صحيحة
علم قطعا ان فاعلها عالم واما الكبرى فلما ثبت من انه خالق للافلاك والعناصر
بما فيها من الاعراض والجواهر وانواع المعادن والنبات واصناف الحيوانات على
اتساق وانتظام واتقان واحكام تحار فيه العقول والافهام ولا يفي ببعضها مجلدات
الدفاتر والاقلام على ما يشهد بذلك علم الهيئة وعلم التشريح وعلم الآثار العلوية والسفلية
وعلم الحيوان والنبات مع ان الانسان لم يؤت من العلم الا قليلا ولم يعبر الى الكثير سبيلا
فكيف اذا رقي الى عالم الروحانيات من الارضيات والسماويات والى ما يقول به الحكماء
من المجردات ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي
تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيى به الارض بعد
موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض
لآيات لقوم يعقلون فان قيل ان اريد الانتظام والاحكام من كل وجه بمعنى ان هذه
الآثار مرتبة ترتيبا لا خلل فيه اصلا وانها ملائمة للمنافع والمصالح المطلوبة منها بحيث
لا يتصور ما هو اوفق منه واصلح فظاهر انها ليست كذلك بل الدنيا طافحة بالشرور
والآفات وان اريد في الجملة ومن بعض الوجوه فجميع الآثار والمؤثرات من غير العقلاء بل كلها
كذلك وايضا قد استدعى من العقلاء الحكماء عجايب خلقة الحيوان وتكون تفاصيل
الاعضاء الى قوة مدبرة عديمة الشعور سموها المصورة والعقلاء لا يخفى عليهم الضروريات
فكيف يصح دعوى كون الكبرى ضرورية قلنا المراد اشتمال الافعال والآثار
على لطايف الصنع وبدايع الترتيب وحسن الملائمة للمنافع والمطابقة للمصالح على وجه
الكمال وان اشتمل بالعرض على نوع من الخلل وجاز ان يكون فوقه ما هو اكمل والعلم
بان مثل ذلك لم يصدر الا عن العالم ضروري سيما اذا تكرر وتكثر وخفاء الضروري
على بعض العقلاء جائز فان قيل لم لا يكفي في صدور تلك الآثار على غاية من
الاحكام والاتقان الظن فلا تكون دالة على خصوص علم المؤثر قلنا تكرر تلك
الآثار وتكثرها مع انتفاء وجوه الخلل عنها في جميع مواقعها مانع من كون الفاعل به
ظانا لا عالما على انه يكفي في اثبات غرضنا ثبوت الشعور كما لا يخفى فلينا ملزمنا بينهما
انه تعالى قادر وفاعل بالقصد والاختيار كما مر ولا يتصور ذلك الا مع العلم بالمقصود
لاستحالة توجه القصد والارادة من الفاعل الى ما لم يعلم فان قيل ينتقض الوجهان
بانه قد يصدر عن الحيوانات العجم افعال متقنة محكمة في ترتيب مساكنها وتدبير
معايشها كما في النحل والعنكبوت وكثير من الوحوش والطيور على ما هو في الكتب
مسطور وفيما بين الناس مشهور مع انها ليست من اولي العلم قلنا لا نسلم انها
فاعلة على طريق التاثير فان من معتقد اهل السنة ان الله جل وعلا منفرد بخلق كل شيء

Copyright © King Saud University